العقيدة:
تعريفها، وأهمية دراستها

العقيدة في اللغة العربية مأخوذة من (العَقْدِ) وهو الربط والشدّ بقوة، وكل ما عقد الإنسان عليه قلبه **جازماً به** فهو (عقيدة).

أما العقيدة بمعناها العام فهي: الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله – صلى الله عليه وسلم – بالطاعة والتحكيم والاتباع.

وللعقيدة مسميات أخرى عند أهل السنة؛ فيسمونها:

١- التوحيد: لأنه يدور على توحيد الله بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، فالتوحيد هو أشرف مباحث علم العقيدة وهو غايتها، فسمي به هذا العلم عند السلف تغليباً.

٢- السنة: والسنة الطريقة، فأطلق على التوحيد أو العقيدة: السُّنة لاتباعهم طريقة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه في ذلك.

٣ – أصول الدين: والأصول هي أركان الإيمان وأركان الإسلام، والمسائل القطعية وما أجمع عليه الأئمة.

أهمية دراسة علم العقيدة:

هذا العلم هو أشرف العلوم وأعظمها وأعلاها، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومنزلة العلم تقدّر بحاجة الناس إليه، وبما يحصل لصاحبه من الانتفاع به في الدنيا والآخرة.

وحاجة العباد إلى علم العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له وما ينزه عنه، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه.

وكلما كانت معرفة العبد بربه صحيحة تامة كان أكثر تعظيما واتباعا لشرع الله وأحكامه، وأكثر تقديرا للدار الآخرة.

وإذا انطبعت في نفس العبد هذه المعاني الشريفة من العلم بالله وتوحيده ومحبته وخشيته وتعظيم أمره ونهيه، والتصديق بوعده ووعيده، سعد في الدنيا والآخرة، وسعد مجتمعه به، ذلك أن صلاح سلوك الفرد تابع لصلاح عقيدته وسلامة أفكاره، وفساد سلوك الفرد تابع لفساد عقيدته وانحرافها

والتوحيد عاصم للدين والدم والمال، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »

ومن خلال ما تقدم يمكن إجمال أهمية دراسة العقيدة فيما يلي:

أولاً: بالتزام العقيدة الصحيحة تتوحيد صفوف المسلمين عامة، وأي اجتماع على غيرها فإن مصيره التفرق، والتنازع، قال الله تبارك وتعالى: {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا}

فبها تتوحد وتقوى صفوف المسلمين، وتجمع كلمتهم على الحق وفي الحق ؛ لأنها استجابة لقول الله تبارك وتعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا} ولذا فإن من أهم أسباب اختلاف المسلمين اختلاف مناهجهم وتعدد مصادر التلقي عندهم، فتوحيد مصدرهم في العقيدة والتلقي سبب مهم لتوحيد الأمة، كما تحقق في صدرها الأول.

ثانياً: العقيدة الصحيحة تربط المسلم مباشرة بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبحبهما وتعظيمهما، وعدم التقدم بين يدي الله ورسوله- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ذلك لأن عقيدة السلف منبعها: قال الله، وقال رسوله ؛ بعيدا عن تلاعب الهوى والشبهات، وخالية من التأثر بالمؤثرات الأجنبية من فلسفة ومنطق وعقلانية، فليس إلا الكتاب والسنة.

ثالثاً: أن دارسها ومعتقدها مرتاح البال، مطمئن النفس، بعيداً من الشكوك والأوهام ووساوس الشيطان، قرير العين لأنه سائر على هدي نبي هذه الأمة صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، قال الله تعالى: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون}.

رابعاً: أن العقيدة الصحيحة من أعظم أسباب القرب من الله عز وجل والفوز برضوانه سبحانه وتعالى.

المراد بأهل السنة والجماعة:

قبل معرفتنا بالمراد بأهل السنة والجماعة عند الإطلاق يلزمنا معرفة أجزاء هذا التركيب، فهو مركب من كلمة السنة، وكلمة الجماعة، وإذا عرفنا هذه المصطلحات ظهر لنا المراد بهذا التركيب.

أما اللفظة الأولى وهي: السنة في اللغة فتطلق على: الطريقة والسيرة، محمودة كانت أم مذمومة.

ومنه قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « من سن في الإسلام سنة حسنه فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده ؛ من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة » أي: سيرة.

وأما السنة فالمراد بها في الاصطلاح: الهدي الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه، علماً، واعتقاداً، وقولاً، وعملاً، وتقريراً، ويقابل السنة: البدعة.

وقد يرد هذا المصطلح " السنة " ويراد به أمر آخر، بحسب اصطلاح المطلق لها، فتطلق السنة مثلاً على المسنون من العبادات ونحوه.

وأما اللفظة الأخرى وهي: الجماعة فإنها في اللغة: مشتقة من الاجتماع، وهو ضد التفرق، وضد الفرقة.

والجماعة: هم القوم الذين اجتمعوا على أمر ما.

والجماعة في الاصطلاح: هم جماعة المسلمين، وهم سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ؛ الذين اجتمعوا على الكتاب والسنة، وساروا على ما كان عليه رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ظاهرا وباطنا.

يمتثلون قول الله تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا} وقول رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي: " الجماعة » وقال: « عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة ؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة، فليلزم الجماعة »

فأهل السنة والجماعة: هم المتمسكون بسنة النبي- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- الذين اجتمعوا على ذلك، وهم الصحابة والتابعون، ومن تبعهم وسلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل، والذين استقاموا على الاتباع وجانبوا الابتداع، في أي مكان وزمان، وهم باقون ظاهرون منصورون إلى يوم القيامة فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال.

ولا يُقصد بالجماعة هنا مجموع الناس وعامتهم، ولا أغلبهم ولا سوادهم ما لم يجتمعوا على الحق، لأن النبي- صلى الله عليه وسلم- ذكر أن الطائفة المنصورة (أهل السنة والجماعة) فرقة واحدة من ثلاث وسبعين فرقة، كما جاء في الحديث الصحيح، عن أبي هريرة – ضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة).

ولا يلزم من الجماعة كثرة العدد، فقد قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك)

وقد يُسمي أهل السنة ببعض أسمائهم أو صفاتهم المأثورة عن الرسول – صلى الله عليه وسلم –، أوعن أئمتهم المقتدى بهم، فقد يُطلق عليهم (أهل السنة) دون إضافة (الجماعة). وقد يُطلق عليهم (الجماعة) فقط، أخذاً من وصف النبي – صلى الله عليه وسلم –: (إن هذه الأمة ستفترق على إحدى وسبعين فرقة، كلها في النار، إلا واحدة هي: الجماعة) وقد يطلق عليهم ألقاب أخرى كالسلف الصالح، وهو مصطلح يرادف مصطلح أهل السنة والجماعة، كما يطلق عليهم أهل الأثر، وأهل الحديث، والطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، وأهل الاتباع، وهذه الأسماء والإطلاقات مستفيضة عن علماء السلف.

وهذا المعنى لأهل السنة والجماعة يخرج منه كل طوائف المبتدعة وأهل الأهواء، كالخوارج، والجهمية، والقدرية، والمعتزلة، والمرجئة، والرافضة.. وغيرهم من أهل البدع ممن سلكوا مسلكهم.

فالسنة هنا تقابل البدعة، والجماعة تقابل الفرقة، وهو المقصود في الأحاديث التي وردت في لزوم الجماعة والنهي عن التفرق.

فهذا الذي قصده ترجمان القرآن، عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما- في تفسير قول الله تبارك وتعالى: {يوم تبيض وجوه وتسود وجوه} قال: (تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة)

يقول الإمام أحمد رحمه الله في تعريف أهل السنة والجماعة والطائفة المنصورة: "إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم"، وأهل الحديث هم الذين يتبعون الحديث وليس المراد بهم أنهم الذين يحكمون على متن الحديث والرجال ونحو ذلك ولو كانوا مبتدعة.

مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة:

المصدر الذي يتلقى عنه أهل السنة والجماعة عقيدتهم هو:

أولاً: اتباع ما جاء في كتاب الله عز وجل.

ثانياً: واتباع ما صح من سنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وهذا الاتباع يكون ظاهرا وباطنا، مع التسليم لما جاء في كتاب الله وصح من سنة نبيه، قال الله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا).

وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله »

فمصدر أهل السنة والجماعة في العقائد هو كتاب الله، وسنة نبيه محمد ﷺ، وما أجمع عليه المسلمون.

يقول ابن عبدالبر: (ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله، أو صح عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه)

وإذا وقع الخلاف في أمر فإن الرجوع يكون لكتاب الله، ولما صح من سنة نبيه ﷺ، وإجماع المسلمين.

وهذا هو صراط الله الذي ذكره ورضي به في قوله: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾

والإجماع لا يكون ولا يقع إلا بناء على نصوص الكتاب والسنة، فالإجماع حق، والأمة لا تجمع على ضلالة، ولا يوجد مسألة يتفق الإجماع عليها إلا وفيها نص من القرآن أو صحيح السنة، فلا يكون الإجماع إلا على معتمد ومستند، فلا يكون قط إجماع صحيح على خلاف نص.

يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم معرضون﴾ ويقول: (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا).

فمنهج أهل السنة قائم على التسليم المطلق لأدلة الكتاب، ولما صح من سنة المصطفى ﷺ، بلا رد أو معارضة تنشأ عن العقل أو غيره.

ومما ينص عليه في مصادر التلقي: أن أخذ العقيدة من السنة النبوية ليس مقصوراً على ما ثبت بالتواتر، بل المتواتر وصحيح الآحاد في باب التلقي واحد، فرسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ وهذا عام في كل منْطِقِه ﷺ، ولذا قال ﷺ لعبدالله بن عمرو ابن العاص ﷺ: ((اكتب فو الذي نفسي بيده مايخرج منه إلا حق)) وأشار بيده إلى فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ والحكمة هي السنة.

ومن فرق بين المتواتر والآحاد مدعياً أن خبر الواحد لا يفيد علماً لزمه رد قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ لأن البلاغ الذي تقوم به الحجة ويحصل به العلم، شامل لبلاغ الواحد، ولو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذي تقوم به الحجة، وقد كان رسول الله ﷺ يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه فتقوم به الحجة على من بلغه، وكذا قامت الحجة على الأمة بما بلغهم العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسننه، ولو لم يفد العلم لم تقم علينا بذلك حجة، وهذا من أبطل الباطل.

فالنبي ﷺ كان يبعث آحاد الصحابة للتبليغ وللدعوة، كما فعل مع أبي بكر ﷺ حين بعثه أميراً على الحاج، وقال لمعاذ ﷺ لما بعثه لليمن: ((ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم)) وقامت بهؤلاء الحجة – في أصول الدين – على من بعثوا إليهم وهم آحاد، وقد بعث النبي الرسل للملوك آحاداً وقامت بهم الحجة وعدتهم في دهر واحد اثنا عشر رسولاً كما ذكره الشافعي

ومن فرق بين العقائد والأحكام في الأخذ بخبر الواحد فتفريقه باطل بإجماع الأمة، فالأمة لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات، كما تحتج بها في الطلبيات العمليات... ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات، والقدر، والأسماء والأحكام، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته، فأين سلف المفرقين بين البابين)

ومما ينبه عليه في مسألة مصادر التلقي أن أهل السنة لا يعارضون شيئا من الكتاب أو السنة الصحيحة بقياس، ولا ذوق، ولا كشف، ولا قول شيخ، ولا إمام ؛ لأن الدين قد اكتمل في حياة الرسول– صلى الله عليه وسلم –، قال الله تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}

وعليه فإن من سلّم لهذه النصوص وآمن بها وبأنها مصدره في التلقي والأخذ فإنه لا يعارض الكتاب والسنة بعقله أو برأيه، كما أن المسلم لهذه النصوص يعتقد أن النقل الصحيح (وهو القرآن الكريم والسنة الثابتة) لا يتعارض مع العقل الصريح (وهو السليم من الانحراف والشبه) بل النقل والعقل السليم متوافقان.

وإذا وجد ما يوهم التعارض بين النقل الثابت والعقل وجب تقديم النقل لسببين:

الأول: أن النقل ثابت، والعقل متغير.

الثاني: أن النقل معصوم، والعقل ليس كذلك.

كما أن العقل يمكن أن يدرك جملا من مقررات علم العقيدة، مثل أن الله موجود، وواحد، وحي، وعال على مخلوقاته، عليم بهم، قادر، حكيم مستحق للعبادة وحده دون سواه ونحو ذلك، لكن لا يمكن أن يستقل بمعرفة وإدراك تفاصيل هذا العلم، إذ لا تدرك التفاصيل إلا من الكتاب والسنة.

أركان الإيمان

دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان له أركان وأصول ستة، وهذه الأركان هي:

١. الإيمان بالله.
٢. وملائكته.
٣. وكتبه.
٤. ورسله.
٥. واليوم الآخر.
٦. والقدر خيره وشره.

وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواطن عديدة منها:

قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا}، وقوله تعالى: {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين}، وقوله تعالى: {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير}.

وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب المشهور بحديث جبريل « أن جبريل سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ».

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمان لأحد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.

الركن الأول: الإيمان بالله

الإيمان بالله تعالى يتضمن: الإيمان والإقرار بأنواع التوحيد الثلاثة، واعتقادها، والعمل بها، ولذلك **يعرف الإيمان بالله بأنه:** التصديق الجازم بـــ: ١/وجود الله وربوبيته، ٢/واتصافه بكل صفات الكمال، ونعوت الجلال، ٣/واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك، والتزامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه.

وهذا الركن هو أساس العقيدة وأصلها، وكل أركان العقيدة مضافة إليه، وتابعة له.

والتوحيد إذا عرف بمعناه العام فيقال هو: إفراد الله تعالى بالربوبية، والألوهية، وكمال الأسماء والصفات.

وهذا التعريف يظهر أنواع التوحيد أو أقسام التوحيد، وأنها ثلاثة:

١. توحيد الربوبية.
٢. وتوحيد الألوهية.
٣. وتوحيد الأسماء والصفات.

ويمكن تقسيم التوحيد باعتبار آخر فيقال: ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى، وتتريهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتتريهه عن صفات النقص (وهذا هو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات).

والثاني: عبادته وحده لا شريك له وتجريد محبته والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضى به رباً وإلهاً وولياً وأن لا يَجعل له عدلاً في شيء من الأشياء (وهذا هو توحيد الألوهية).

أو يقال: ينقسم إلى قسمين:

الأول: توحيد في الإثبات والمعرفة، وهو: الربوبية والأسماء والصفات، **والثاني:** توحيد في الطلب والقصد وهو: الألوهية.

وليس هناك خلاف بين من يجعل التوحيد ثلاثة أقسام أو قسمين أو أربعة، وإنما كل يقسم باعتبار.

فإذا قسمنا التوحيد باعتبار أنه حق الله تعالى، وباعتبار تعلقه بالله –سبحانه وتعالى– فهو ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية توحيد الأسماء والصفات وهذا هو المشهور كثيرا.

وأما إذا نظرنا إلى التوحيد من جهة تعلقه بنا نحن كحق لله تعالى علينا فإنه نوعان:

١/التوحيد الاعتقادي أو توحيد المعرفة والإثبات. ٢/ التوحيد العملي أو القصد والطلب.

ومن الآيات التي اشتملت على أنواع التوحيد وأقسامه قوله تعالى: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا﴾.

القسم الأول:
توحيــــد الربوبيـــــة
تعريفه، وأدلة إثباته

تعريف توحيد الربوبية:

كلمة الرب في اللغة تطلق ويراد بها: المالك، والسيد، والمدبِّر، والمربي، والقيِّم، والمنعم.

ورب كل شيء: مالكه ومستحقه، وقيل: صاحبه، ويقال: فلان رب هذا الشيء أي مِلْكُه له، وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: هو ربُّ الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت.

ولا يطلق غير مضاف "الرب" إلا على الله عز وجل، وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: ربُّ كذا.

أما الرب من حيث إنه اسم من أسماء الله فمعناه: من له الخلق والأمر والملك، قال تعالى: (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ) وقال: (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ).

قال ابن منظور: الرب: هو الله عز وجل هو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك.

أما الربوبية في الاصطلاح:

فيعرّفها شيخ الإسلام بأنها تعني: أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه.

أو هي: الإقرار بأن الله خالق كل شيء وربه.

فالربوبية تتضمن إفراد الله سبحانه وتعالى في أمور ثلاثة: الخلق، والملك، والتدبير، فالخلق يدخل فيه: الإبداع والإيجاد والإنشاء وفق تقدير سابق، والملك والتدبير يدخل فيها: تصرفه سبحانه في خلقه من إحياء، وإماتة، ورزق، إلى غير ذلك من تدبيره لمخلوقاته، كما يتضمن غناه – سبحانه – عنهم وفقرهم إليه، وهذه صفات الرب.

وهناك من يعرف الربوبية اصطلاحاً بتعريف مختصر فيقول هو: توحيد الله بأفعاله.

ولهذا النوع من التوحيد أسماء أخرى؛ منها: التوحيد العلمي، والتوحيد الخبري، وتوحيد المعرفة والإثبات، والتوحيد الاعتقادي.

أدلة إثبات توحيد الربوبية:

الأدلة على ربوبية الله تعالى كثيرة متنوعة، وأظهر ما يدل على ربوبية الله أربعة أمور: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس، وقد جعل الله لخلقه أموراً إذا تأملوها حق التأمل وتفكروا بها دَلَّتْهُمْ إلى أن هناك خالقاً مدبراً لهذا الكون.

أما دلالة الشرع فيقال: الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

والقرآن مليء بذكر الأدلة على ربوبية الله، ومن ذلك قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين)، وقوله: (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)، وقوله: (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (٨٢) فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون)، وقوله: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)، وقوله تعالى: (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون).

وأما دلالة الفطرة: فيقال: إن الله سبحانه قد فطر كل مخلوق على الإيمان بخالقه والإقرار بربوبيته، وأنه الخالق، الرازق المدبر، المحيي المميت من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه) فالإيمان بالربوبية أمر جبلي مركوز في فطرة كل إنسان، ولا يستطيع أحد دفعه ولا رفعه.

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن الإقرار بالصانع فطري كما قال صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة) والفطرة تتضمن الإقرار بالله، والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يعرف ويعبد.

ولهذا فإن المشركين في الجاهلية كانوا مقرين بتوحيد الربوبية مع شركهم بالألوهية، وقد حكى الله ذلك عنهم كما في قوله: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنا يؤفكون).

وأما دلالة العقل على ربوبية الله تعالى فيقال: هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

لا يمكن أن تُوجِدَ نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً ؟

ولا يمكن أن تُوجَدَ صدفة، لأن كل حادث لابد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والإرتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره ؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ} وكان جبير يؤمئذ مشركاً قال: كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي.

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك، فإنه لو حدثك شخص عن قصير مشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، وملئ بالفرش والأسرة، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفها من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه، وأفلاكه وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وجد صدفة بدون موجد ؟ !

وأما أدلة الحس فيقال تنقسم لقسمين:

١ / دلالة الأنفس؛ فالنفس آية كبيرة من آيات الله الدالة على ربوبيته، ولو أمعن الإنسان النظر في نفسه وما فيها من العجائب لعلم أن وراء ذلك ربا حكيما خالقا قديرا.

٢ / دلالة الآفاق؛ ولو تأمل الإنسان الآفاق وما أودع الله فيها من الغرائب والعجائب لأدرك أن هناك خالقا لهذه الأكوان، وأنه عليم حكيم.

والذي يدل من القرآن على هذين النوعيين هو قوله سبحانه: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد).

مسألة: هل الإقرار بتوحيد الربوبية يكفي من أقر به ؟

الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يدخل في الإسلام، ولو كان كافياً في ثبوت الإسلام لكان إقرار المشركين بالربوبية كافياً لهم؛ وعليه: فلا يصح إيمان أحد ولا يتحقق توحيده إلا إذا وحد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام، ولا ينجي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه: توحيد الألوهية.

ولذا يقول الله تعالى: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون} والمعنى أي: ما يقر أكثرهم بالله ربا وخالقا ورازقا ومدبرا – وكل ذلك من توحيد الربوبية – إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره من الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع.

وبهذا المعنى للآية قال المفسرون من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا: الله ؛ وهم مشركون ".

وقال عكرمة: " تسألهم من خلقهم ومن خلق السماوات والأرض فيقولون الله؛ فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره ".

وقال مجاهد: "إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره".

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن زيد: " ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربه، وأن الله خالقه ورازقه، وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: {قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون}{أنتم وآباؤكم الأقدمون}{فإنهم عدو لي إلا رب العالمين}.

والنصوص عن السلف في هذا المعنى كثيرة، بل لقد كان المشركون زمن النبي صلى الله عليه وسلم مقرين بالله ربا خالقا رازقا مدبرا، وكان شركهم به من جهة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء يدعونهم ويستغيثون بهم وينزلون بهم حاجاتهم وطلباتهم.

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه على إقرار المشركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون}، وقوله تعالى: {ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون}، وقوله تعالى: {ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون}، وقوله تعالى: {قل لمن الأرض ومن فيها

إن كنتم تعلمون.. سيقولون لله قل أفلا تذكرون.. قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم.. سيقولون لله قل أفلا تتقون.. قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون.. سيقولون لله قل فأنى تسحرون}.

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه، ويقرون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرا ولا نفعا استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا تسمع ولا تبصر، ويقرون أن الله هو المتفرد بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زلفى ؛ ولذا قال الله تعالى: {والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى}، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلود فيها واستباح رسوله صلى الله عليه وسلم دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة.

وبهذا يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفراد الله وحده بالعبادة. فإذا لم يأت بذلك فهو كافر حلال الدم والمال.

مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية:

مر معنا أن توحيد الربوبية أمر فطري جبلي، قررته الأدلة العقلية والنقلية والحسية، ومع هذا الأمر فقد وجد في الناس من وقع منه الانحراف في هذا التوحيد، ويمكن إجمال مظاهر الانحراف وتعدادها في توحيد الربوبية في أمور ثلاثة:

١ - **جحد ربوبية الله أصلًا وإنكار وجوده سبحانه،** كما يعتقد ذلك الملاحدة الذين يسندون إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلب الليل والنهار، أو نحو ذلك {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}.

٢- **جحد بعض خصائص الرب سبحانه وإنكار بعض معاني ربوبيته،** كمن ينفي قدرة الله على إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع له أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك.

٣- **إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله سبحانه،** فمن اعتقد وجود متصرف مع الله عز وجل في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية فهو مشرك بالله العظيم. أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته، كعلم الغيب، أو كالعظمة، والكبرياء، ونحو ذلك

٤- **اعتقاد مشرّع مع الله عز وجل؛** لأنه هو الرب وحده، وربوبيته شاملة لأمره الكوني والشرعي.

وإذا ظهر لنا أن مظاهر الإنحراف في الربوبية تلخص فيما مضى فيمكن من خلال ما ذكر أن نعدد الفرق التي وقع عندها الإنحراف في الربوبية أو وقع الشرك عندها في هذا التوحيد؛ وممن وقع عند الانحراف والشرك في الربوبية الفرق أو الطوائف التالية:

١- الثنوية المجوس؛ الذين قالوا بالأصلين: النور والظلمة، وأنهما أزليان قديمان، أو أن النور أزلي، والظلمة محدثة.

٢- النصارى الذين قالوا بالتثليث؛ فالنصارى لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضها عن بعض، بل هم متفقون على أنه صانع واحد يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، ويقولون: واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم، أما الأقانيم فإنهم عجزوا عن تفسيرها.

وقولهم هذا متناقض أيما تناقض وتصوره كاف في رده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ولهذا قال طائفة من العقلاء: إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا، بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين ولهذا قال بعضهم: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولا.

وقال آخر: لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولا، وامرأته قولا آخر، وابنه قولا ثالثا ".

٣- القدرية؛ وهم في الحقيقة مشركون في الربوبية، وهذا لازم لمذهبهم؛ لأنهم يرون أن الإنسان خالق لفعله، فهم أثبتوا لكل أحد من الناس خلق فعله.

والخلق إنما هو مما اختص الله به، قال ــ تعالى ــ: (والله خلقكم وما تعملون) وأفعال العباد لا يخرجها شيء من عموم خلقه عز وجل.

٤- الفلاسفة الدهرية؛ في قولهم في حركة الأفلاك بأنها تسعة، وأن التاسع منها وهو الأطلس يحرك الأفلاك كلها، فجعلوه مبدأ الحوادث، وزعموا أن الله يحدث ما يقدره في الأرض.

٥- عبدة الأصنام من مشركي العرب وغيرهم؛ ممن كانوا يعتقدون أن الأصنام تضر وتنفع، فيتقربون إليها، وينذرون لها، ويتبركون بها.

٦- غلاة الصوفية؛ لغلوهم في الأولياء، وزعمهم أنهم يضرون، وينفعون، ويتصرفون في الأكوان، ويعلمون الغيب، ولقولهم بوحدة الوجود، وربوبية كل شيء.

٧- الروافض؛ لقولهم بأن الدنيا والآخرة للإمام، يتصرف بها كيف يشاء، وأن تراب الحسين شفاء من كل داء، وأمان من كل خوف، ولقولهم: إن أئمتهم يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا بإذنهم.

وهذا باطل، وبطلانه لا يحتاج إلى دليل، بل إن فساده يغني عن إفساده.

٨- النصيرية: لقولهم بألوهية علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ وبأنه المتصرف بالكون، لوصفهم إياه بأوصاف لا يجوز أن يوصف بها أحد إلا الله ــ عز وجل ــ مع اختلاف أقوالهم في هذا؛ فبعضهم يقول: إنه يسكن في الشمس ويسمون بــ: الشمسية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في القمر، ويسمون بــ: القمرية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في السحاب، ولذا إذا رأوا السحاب قالوا: السلام عليك يا أمير النحل.

٩- الدروز: لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيد، وغلوهم فيه، ووصفه بأوصاف لا تليق إلا بالله وحده، كقولهم عنه: " إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ".

١٠- من يعتقدون تأثير النجوم والكواكب والأسماء: وذلك كحال الذين يتتبعون الأبراج ويقولون - رجما بالغيب - إذا ولد فلان في البرج الفلاني أو الشهر الفلاني أو اليوم الفلاني، أو كان اسمه يبدأ بحرف كذا أو كذا ـــ فسيصيبه كذا وكذا، ويضعون عليها دعايات تقول: من شهر ميلادك تعرف حظك، أو من اسمك تعرف حظك.

كل ذلك شرك في الربوبية؛ لأنه ادعاء لعلم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له.

القسم الثاني:
توحيـــد الألوهيـــة:
تعريفه، وأدلة إثباته، وأهميته

توحيد العبادة (الألوهية):

تعريفه: إفراد الله بالعبادة، أو: إفراد الله بأفعال العباد.

أدلته: تضافرت النصوص على وجوب إفراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها على ذلك، وأبرز وجوه الدعوة إليها:

١/ الأمر بإفراد الله بالعبادة، كما في قوله تعالى: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون} وقوله: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه}

٢/ ببيان أن توحيد العبادة هو المقصود من بعثة الرسل كما في قوله تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}

٣/ التحذير من ضد هذا التوحيد وهو الشرك كقوله تعالى: {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار} (المائدة: ٧٢)، وقوله تعالى: {ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا}

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه ؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن لا يعذبهم ». وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذا نحو اليمن قال له: « إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات » الحديث، رواه البخاري.

وبهذا نعلم أن توحيد الألوهية هو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعوة الرسل وغاية رسالتهم وأساس دعوتهم، يقول الله تبارك وتعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}، وقال: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}

وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله ».

وثبت في الصحيح أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله »

العبادة لا تقبل إلا بشرطين:

١ – الإخلاص فيها للمعبود ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخالص لوجهه سبحانه، قال تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين}

٢- المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالى في آخر سورة الكهف: {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا}

والعبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه قولي أو فعلي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفرد من أفرادها، ومن أنواع العبادة: الدعاء قال الله تعالى: {فادعوا الله مخلصين له الدين}، وقال تعالى: {وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا}

فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيا أو ميتا، ومن دعا حيا بما يقدر عليه مثل أن يقول: يا فلان أطعمني، أو يا فلان اسقني، ونحو ذلك فلا شيء عليه، ومن دعا ميتا أو غائبا بمثل هذا فإنه مشرك ؛ لأن الميت والغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا.

ومن أنواع العبادة: المحبة والخوف والرجاء، كما قال تعالى: {والذين آمنوا أشد حبا لله} وكما قال تعالى: {ويرجون رحمته} وكما قال تعالى: {ويخافون عذابه}

ومن أنواع العبادة: التوكل، وهو الاعتماد على الشيء، والتوكل على الله: هو صدق تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتمادا عليه وثقة به مع مباشرة ما شرع وأباح من الأسباب لتحصيل المنافع ودفع المضار، قال الله تعالى: {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين}، وقال تعالى: {ومن يتوكل على الله فهو حسبه}

ومن أنواع العبادة: الخشية، وهي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه، قال الله تعالى: {فلا تخشوهم واخشوني}

ومن أنواع العبادة: الاستعانة، وهي طلب العون من الله في تحقيق أمور الدين والدنيا، قال الله تعالى: {إياك نعبد وإياك نستعين}، وقال صلى الله عليه وسلم في وصيته لابن عباس: « إذا استعنت فاستعن بالله »

ومنها: الاستعاذة، وهي طلب الإعاذة والحماية من المكروه، قال الله تعالى: {قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق} وقال تعالى {قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس}.

ومنها: الاستغاثة، وهو طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، قال الله تعالى: {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم}.

ومنها: الذبح، وهو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه الخصوص تقربا إلى الله، قال الله تعالى: {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين}، وقال تعالى: {فصل لربك وانحر}.

ومنها: النذر، وهو إلزام المرء نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غير واجبة، قال الله تعالى: {يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا} (الإنسان: ٧).

فهذه بعض الأمثلة على أنواع العبادة، وجميع ذلك حق لله وحده لا يجوز صرف شيء منه لغير الله.

معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وفضلها:

أولاً: فضل كلمة التوحيد: لا إله إلاّ الله:

هذه الكلمة أجلّ وأعظم ما يقوله المرء؛ فلأجلها خُلقت الخليقةُ، وأُرسلت الرسلُ، وأُنزلت الكتبُ، وبها افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار، فهي سبيل الفوز بالجنة والنجاة من النار.

ولهذه الكلمة فضائل عظيمة، وفواضل كريمة، ومزايا جمّة، لا يُمكن لأحد استقصاؤها، ومما ورد في فضل هذه الكلمة في القرآن الكريم أنّ الله – تبارك وتعالى – جعلها زبدةَ دعوة الرسل، وخلاصةَ رسالاتهم، قال الله — تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ) (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)

ومن مات على هذه الكلمة فهو من أهل الجنة، وهي نجاة لصاحبها من النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» أخرجه مسلم، وفي الحديث الآخر: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم سمع مؤذِّناً يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: "خرج من النار"، وفي الصحيحين من حديث عِتبان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "إنّ الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله" ولذا فإن وجوب معرفة لا إله إلا الله أعظم الواجبات وأهمها.

ومن فضائلها: أنّها ترجحُ بصحائف الذنوبِ يوم القيامة كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "يُصاح برجل من أمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامةِ، فيُنشرُ له تسعةٌ وتسعون سِجلاً، كلُّ سِجلٍّ منها مدّ البصر، ثم يقول الله – تبارك وتعالى – له: أتُنكر من هذا شيئا؟ فيقول: لا يا ربّ. فيقول عز وجل: أَلَكَ عُذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا يا رب. فيقول عز وجل: بلى إنّ لك عندنا حسنة، وإنَّه لا ظلم عليك، فتُخرجُ له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السِجلاّت؟ فيقول عز وجل: إنَّك لا تُظلم، قال: فتُوضَع السجلات في كِفَّة والبطاقة في كِفّة، فطاشت السِجلاّت وثقُلت البطاقة"

ثانياً: معنى شهادة أن لا إله إلا الله:

أي: لا معبود بحق إلا الله وحده، فهو نفي الإلهيَّة عما سوى الله تبارك وتعالى، وإثباتها كلها لله وحده لا شريك له.

ومعنى الإله: هو المعبود، فمن عبد شيئا فقد اتخذه إلها من دون الله، وجميع ذلك باطل إلا إله واحد وهو الله وحده.

وليس المراد بهذه الكلمة مجرد التلفّظ بها باللسان فقط، دون قيامٍ من العبدِ بحقيقة ما تدل عليه من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله، مع الاعتقاد الجازم لما تضمّنته من ذلك والعمل به، فبذلك يكون العبد مسلماً حقاً، وبذلك يكون من أهل لا إله إلا الله، وبهذا تكون مقبولة عند الله تعالى، وليس بنافع بإجماع أهل العلم النطق بالشهادة من غير فهم لمعناها، ولا عمل بما تقتضيه، يقول تعالى: (إلاَّ مَن شَهِدَ بالحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُون)

وقال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِير)

وبهذا يعلم أن من قالها وعمل بها ظاهراً **من غير اعتقاد** فهو المنافق، وأما من قالها **وعمل بضدّها وخلافها من الشرك** فهو الكافر، وكذلك من قالها **وارتدّ عن الإسلام بإنكار شيء من لوازمها وحقوقها** فإنَّها لا تنفعه ولو قالها ألف مرّة، وكذلك **من قالها وهو يصرف أنواعاً من العبادة لغير الله** كالدعاء، والذبح، والنذر، والاستغاثة، والتوكل، والإنابة، والرجاء،

والخوف والمحبة، ونحو ذلك، **فمن صرفَ مما لا يصلحُ إلا لله من العبادات لغير الله فهو مشرك بالله العظيم ولو نطق بلا إله إلا الله؛ إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص الذي هو معنى ومدلول هذه الكلمة العظيمة.**

أركان لا إله إلا الله:

لهذه الكلمة العظيمة ركنان هما: النفي والإثبات.

فالركن الأول: (لا إله) وهو: نفي العبادة عما سوى الله، وإبطال الشرك، ووجوب الكفر بكل ما يعبد من دون الله.

والركن الثاني: (إلا الله) وهو: إثبات العبادة لله وحده، وإفراده سبحانه بجميع أنواع العبادة.

والدليل على ذلك قوله تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} فقوله: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ} معنى الركن الأول (لا إله)، وقوله: {وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ} هو معنى الركن الثاني (إلا الله).

شروط لا إله إلا الله:

لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط لا تنفع قائلها إلا باجتماعها، وهي كالتالي:

١. العلم بمعنى لا إله إلا الله، كما قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}.
٢. اليقين: أن يكون قائلهما مستيقنا بما تدل عليه، فإن كان شاكّا مرتابا بما تدلّ عليه لم تنفعه، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا}.
٣. القبول لما دلّت عليه هذه الكلمة من عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، فمن قالها ولم يقبل عبادة الله وحده كان من الذين قال الله فيهم: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ}{وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ}.
٤. الانقياد لما دلت عليه، قال تعالى: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} ومعنى {يُسْلِمْ وَجْهَهُ}: أي ينقاد ويخضع، والعروة الوثقى هي: لا إله إلا الله.
٥. الصدق: وهو أن يقول هذه الكلمة صدقا من قلبه، كما قال صلى الله عليه وسلم: « ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرّمه الله على النار ».
٦. الإخلاص: وهو تصفية العمل من جميع شوائب الشرك، بأن لا يقصد بقولها طمعا من مطامع الدنيا. قال صلى الله عليه وسلم: « إن الله حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله ».
٧. المحبة لهذه الكلمة، ولما تدل عليه، ولأهلها العاملين بها. قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}.

نواقض التوحيد:

كلمة التوحيد كما تقدم لا تكون نافعة لقائلها إلا إذا أتى بشروطها واجتنب كلَّ أمرٍ يُناقضها، ولذا فإن العلماء يذكرون أنَّ المسلم قد يرتدُّ عن دينه ويكفر بأنواعٍ كثيرةٍ من النواقض إذا وقع فيها، أو في أيِّ شيء منها، و لم ينفعه مجرّد التلفّظ ب لا إله إلا الله؛ وقد تنتقض كلمة التوحيد لا إله إلا الله بأمورٍ كثيرةٍ، إلا أنَّ أشدَّ هذه النواقض خطرًا وأكثرها وقوعاً عشرةُ نواقض ذكرها غيرُ واحد من أهل العلم — رحمهم الله وفيما يلي عرض لهذه النواقض:

الناقض الأول: الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ}، وقال تعالى: {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ}، ومن ذلك دعاءُ الأموات والاستغاثةُ بهم، والنذرُ والذبحُ لهم، ونحو ذلك.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكّل عليهم فقد كفر إجماعاً، قال الله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ يَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

الثالث: من لم يُكفِّر المشركين أو شَكَّ في كفرهم أو صحّح مذهبهم كَفَر.

الرابع: من اعتقد أنَّ هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم أكملُ من هديه، أو أنَّ حكم غيره أحسنُ من حكمه، فهو كافرٌ؛ كالذين يفضّلون حكم الطاغوت على حكمه سبحانه وتعالى.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو عمل به فقد كفر؛ لقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول صلى الله عليه وسلم أو ثوابه أو عقابه كفر،

والدليل قوله تعالى: {قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}

السابع: السحرُ، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله – تعالى: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ}

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله -تعالى: {وَمَن يتولهم مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ}

التاسع: من اعتقد أنَّ بعض الناس يَسَعُه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، فهو كافر؛ لقوله تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ}

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلّمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ}

فهذه عشرة أمورٍ من نواقض كلمة التوحيد لا إله إلا الله، فمن وقع في شيء منها – والعياذ بالله انتقض توحيده، وانهدم إيمانه، و لم ينتفع بقوله: لا إله إلا الله.

- **معنى العبادة:**

العبادة في اللغة يراد بها: الذل والخضوع، والتعبيد: التذليل، يقال: طريق مُعبَّد إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام.

أما العبادة شرعاً فإنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، مثل محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والخوف من الله، والتوكل على الله، وسؤال الله تعالى، والصلاة، والزكاة، وبر الوالدين، وذكر الله تعالى، وجهاد الكفار والمنافقين، وغير ذلك.

والعبودية لله نوعان:

الأولى: عبودية قسرية قهرية، وكل الخلق عباد لله بهذا الاعتبار، من جهة أن الله ذللهم ودبرهم وصرفهم، وبهذا الاعتبار فالمخلوقون كلهم عباد الله المؤمنون والكفار، الأبرار والفجار، أهل الجنة وأهل النار، إذ هو ربهم كلهم ومليكهم لا يخرجون عن مشيئته وقدرته كما قال تعالى {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا}.

الثانية: العبودية الاختيارية، وتطلق على العابد الذي يقر بأن الله خالقه ومالكه ومدبره، وأنه المستحق للعبادة وحده دون سواه، فيعبده بكمال الحب والتعظيم والإجلال والإكرام والخوف والرجاء ونحو ذلك، فيطيع أمره وأمر رسوله.

- **أنواعها:**

أنواع العبادة كثيرة تشمل كل أنواع الطاعات كتلاوة القرآن والإحسان إلى الفقراء والمحتاجين، والصدق، والأمانة، والكلمة الطيبة.

والعبادة شاملة كل تصرفات المؤمن إذا نوى بها التقرب إلى الله تعالى، بل لو أكل أحدنا أو شرب أو نام بقصد التقوّي على طاعة الله تعالى؛ فإنه يثاب على ذلك، فهذه العادات مع النية الصالحة والقصد الصحيح تصير عبادات يثاب عليها.

- **أركان العبادة:**

للعبادة أركان وأصول تقوم عليها، وهي ثلاثة: المحبة، الخوف، الرجاء.

١ - المحبة:

فالله سبحانه وتعالى وحده يحب لذاته، ولا تتم المحبة ولا تقع إلا بحب ما يحبه المحبوب، وبغض ما يبغضه، ويتحقق ذلك بالاتباع كما قال تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}.

وهذا حال أهل الإيمان الذين قال الله فيهم: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}، وقال: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}.

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار »

٢ - الخوف:

علامة إيمان المرء خوفه من الله، والخوف منه واجب على المرء، يقول الله تعالى: {فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين}، وقال تعالى: {وإياي فارهبون}، وقال: {فلا تخشوا الناس واخشون}.

وقد أثنى الله تعالى على من يخافه بقوله: {إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون. والذين هم بربهم لا يشركون. والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون. أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون}.

٣ - الرجاء:

قال تعالى: {إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم} ، وقال: {فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا}.

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: " يقول الله عز وجل « أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ».

وقد مدح الله سبحانه الجامعين بين الخوف والرجاء كما في قوله تعالى: {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا}.

- **شرط قبول العبادة:**

العبادة التي أمر الله بها لا تسمى عبادة إلا مع توحيد الله تعالى، فلا تصح العبادة مع الشرك، ولا يوصف أحد بأنه عبد لله تعالى إلا مع تحقيقه التوحيد، وإفراد الله تعالى وحده بالعبادة، فمن عبد الله تعالى وأشرك معه غيره فليس عبدا لله.

فتوحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة لله وعدم الإشراك به، هو الشرط في قبول العبادة عند الله، إضافة إلى أن العبادة لا تكون مقبولة إلا بموافقة الشرع، وعلى وفق سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فشرطا كل عمل ليكون مقبولاً عند الله تعالى هما:

١- أن لا يعبد إلا الله وحده (وهذا هو التوحيد).

٢- أن لا يعبد الله إلا بما أمر الله به (وهذا هو الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم).

ودليل هذه الشروط: قول الله تعالى: {فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا}

الولاء والبراء
معنـــــاه وضوابطـــــه

معنى الولاء والبراء:

أولاً: الولاء: مأخوذ من الولاية وهي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً، والمراد بموالاة المسلمين هو: القرب منهم بمودتهم وإعانتهم ومناصرتهم على أعدائهم والسكنى معهم، والمراد بموالاة الكفار هو: التقرب إليهم وإظهار الود لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا.

ثانياً: البراء في الأصل هو: البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار، أما البراء من الكفار فمعناه: قطع الصلة معهم فلا يحبهم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم إلا لضرورة.

منزلة الولاء والبراء من الدين:

للولاء والبراء في الإسلام مكانة عظيمة، فهو أوثق عرى الإيمان كما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله »

فيجب على المسلم أن يوالي في الله وأن يعادي في الله وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، فيحب المسلمين ويناصرهم ويعادي الكافرين ويبغضهم ويتبرأ منهم.

قال تعالى في وجوب موالاة المؤمنين: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون} {ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون}.

وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}.

وقال تعالى: {لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم}

ويقول الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده}.

وقال تعالى في موالاة الأنصار لإخوانهم المهاجرين: {والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون}

ويتضح من هذه الآيات الكريمة وجوب موالاة المؤمنين وما ينتج عن ذلك من الخير ووجوب معاداة الكفار والتحذير من موالاتهم وما تؤدي إليه موالاتهم من شر.

مظاهر موالاة الكفار قد بينها الكتاب والسنة، ومنها:

١- التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما؛ لأن التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما يدل على محبة المتشبِّه للمتشبَّه به، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم؛ فهو منهم) ؛ فيحرم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم ومن عاداتهم وعباداتهم وسمتهم وأخلاقهم؛ كحلق اللحى، وإطالة الشوارب، والرطانة بلغتهم إلا عند الحاجة، وفي هيئة اللباس والأكل والشرب وغير ذلك.

٢- ومن مظاهر موالاة الكفار إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين، ومدحهم والذب عنهم، وهذا من نواقض الإسلام وأسباب الردة؛ نعوذ بالله من ذلك.

٣- ومن مظاهر موالاة الكفار الاستعانة بهم والثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين واتخاذهم بطانة ومستشارين: قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا} فهذه الآيات الكريمة تشرح دخائل الكفار، وما يكنونه نحو المسلمين من بغض، وما يدبرونه ضدهم من مكر وخيانة، وما يحبونه من مضرة المسلمين وإيصال الأذى إليهم بكل وسيلة، وأنهم يستغلون ثقة المسلمين بهم فيخططون للإضرار بهم والنيل منهم. روى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ قال: قلت لعمر رضي الله عنه: لي كاتب نصراني ! قال: ما لك قاتلك الله ؟ أما سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} ألا اتخذت حنيفا ؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين ! لي كتابته، وله دينه. قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله. وروى الإمام أحمد ومسلم: (أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى بدر، فتبعه رجل من المشركين، فلحقه عند الحرة، فقال إني أردت أن أتبعك وأصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله ؟ قال لا قال ارجع؛ فلن أستعين بمشرك).

٤- ومن مظاهر موالاة الكفار: مشاركتهم في أعيادهم، أو مساعدتهم في إقامتها، أو تهنئتهم بمناسبتها، أو حضور إقامتها، وقد فسر قوله سبحانه وتعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ} أي: ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفار.

٥- ومن مظاهر موالاة الكفار الاستغفار لهم والترحم عليهم، وقد حرم الله ذلك بقوله تعالى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} لأن هذا يتضمن حبهم وتصحيح ما هم عليه.

الناس في الولاء والبراء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من يُحب محبة خالصة لا معاداة معها، وهم المؤمنون الخُلَّص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدمتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنه تجب محبته أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ثم زوجاته أمهات المؤمنين، وأهل بيته الطيبين، وصحابته الكرام، خصوصا الخلفاء الراشدين، وبقية العشرة، والمهاجرين

والأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ثم التابعون والقرون المفضلة وسلف هذه الأمة وأئمتها؛ كالأئمة الأربعة.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

ولا يبغض الصحابة وسلف هذه الأمة من في قلبه إيمان، وإنما يبغضهم أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام.

القسم الثاني: من يُبغَض ويُعادي بغضاً ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما، وهم الكفار الخلص من الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين على اختلاف أجناسهم؛ كما قال تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}.

القسم الثالث: من يحب من وجه ويبغض من وجه، فيجتمع فيه المحبة والعداوة، وهم عصاة المؤمنين؛ يحبون لما فيهم من الإيمان، ويبغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك.

لكن لا يُبْغَضون بغضا خالصا ويتبرأ منهم؛ كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك، ولا يُحَبُّون ويوالون حبا وموالاة خالصين كما تقوله المرجئة، بل يعتدل في شأنهم.

التوســــــل

لفظة التوسل إذا أطلقت فالمعني بها: التقرب إلى المطلوب والتوصل إليه برغبة، فهو ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، وجمعها وسائل.

وتعريفه شرعاً: اتخاذ سبب مشروع مقرب من الله موصل لرضوانه.

أقسام التوسل:

ينقسم التوسل إلى قسمين: توسل مشروع، وتوسل ممنوع.

القسم الأول: التوسل المشروع

وهو: اتخاذ سبب مشروع مقرب من الله موصل لرضوانه.

والتوسل المشروع أنواع عديدة مردها ومرجعها لثلاثة:

الأول: التوسل لله تعالى بأسمائه وصفاته، ودليله قول الله تبارك وتعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾.

والتوسل لله بأسمائه وصفاته مأمور به شرعاً، مندوب إليه كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما أصاب مسلماً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن أمتك، ناصيتي في يدك ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحاً)).

وكان عبدالله بن عمرو ﷺ يقول إذا أفطر: ((اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي)).

الثاني: التوسل لله بالعمل الصالح الذي قام به العبد الداعي، ودليل مشروعيته قوله تعالى: ﴿الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار﴾ وقوله: ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾.

ومن السنة مارواه عبد الله بن عمر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج، قال النبي ﷺ: وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي ﷺ وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك

الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون)).

الثالث: التوسل لله بدعاء الصالحين، ودليله ما حدّث به أنس بن مالك ﷺ فقال: أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم يترل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ ، فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد، وبعد الغد، والذي يليه حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء، وغرق المال فادع الله لنا، فرفع يديه فقال: ((اللهم حوالينا ولا علينا)) فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهراً ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون.

ومعنى توسله بالعباس أي: بدعائه وشفاعته، ولم يُرد عمر ﷺ بقوله: كنا نتوسل اليك بنبينا أن نسألك بحرمته أو نقسم عليك به من غير أن يكون هو داعياً شافعاً لنا كما يفعله بعض الناس بعد موته، فإن هذا لم يكونوا يفعلونه في حياته، إنما كانوا يتوسلون بدعائه ولو كانوا يفعلونه في حياته لكان ذلك ممكناً بعد موته كما كان في حياته، ولم يكونوا يحتاجون أن يتوسلوا بالعباس، وكثير من الناس يغلط في معنى قول عمر وإذا تدبره عرف الفرق، ولو كان التوسل به بعد موته ممكناً كالتوسل به في حياته لما عدلوا عن الرسول ﷺ إلى العباس، وكذلك معاوية لما استسقى توسل بدعاء يزيد بن الأسود الجرشي.

فليس المراد أنا نقسم عليك به أو نسألك بجاهة عندك، إذ لو كان ذلك مراداً لكان جاه النبي ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس.

القسم الثاني: التوسل الممنوع

وهو: كل توسل لله تعالى بما ليس بوسيلة، أي: بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة، أو بما لم يأت به الشرع.

والوسائل التي لم يأت بها الشرع نوعان:

أحدها: أن يكون التوسل بوسيلة أبطلها الشرع كتوسل المشركين بآلهتهم، وهذا ظاهر البطلان.

الثاني: أن يكون بوسيلة سكت عنها الشرع وهذا محرم وهو نوع من الشرك، مثل أن يتوسل بجاه شخص ذي جاه عند الله فيقول أسألك بجاه نبيك، وهذا إثبات لسبب لم يعتبره الشرع، ذلك أن جاه ذي الجاه ليس له أثر في قبول الدعاء لعدم تعلقه بالداعي ولا بالمدعو، فهو شأن ذي الجاه وحده.

وكل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تتعبدوها؛ إذ الأصل في العبادات المنع إلا لنص وفي العادات الإباحة إلا لنص.

والتقسيم السابق هذا باعتبار حكم الشارع، أما التقسيم بحسب فعل المُتَوسِّل فيمكن أن يقال إن التوسل الممنوع أقسام وأنواع مردها في الغالب إلى الأنواع التالية:

الأول: التوسل إلى الله بذوات الأشخاص.

الثاني: التوسل إلى الله بجاه شخص أو بحقه أو حرمته أو بركته.

الثالث: الإقسام على الله بالمتوسل به.

وهذه الأقسام الثلاثة مبتدعة مخالفة لأصول الشرع، ذلك أن التوسل بذات شخص في حضوره أو مغيبه أو بعد موته ومثله الإقسام بالذات، لم يفعله الصحابة ولا التابعون، بل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان لما أجدبوا لم يتوسلوا و لم يستشفعوا و لم يستسقوا بالنبي ﷺ بعد وفاته لا عند قبره ولا غير قبره.

ولو كان التوسل بذات أحد ممكناً بعد الموت لما عدل عمر ﷺ إلى العباس.

وأما التوسل بالجاه أو بالبركة أو بالحرمة فلم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء.

وعليه فالتوسل بالذوات ليس بشرعي، بل هو من البدع من وجه، ونوع من الشرك من وجه آخر، فهو من البدع لأنه لم يكن معروفاً في عهد النبي ﷺ وأصحابه.

وهو من الشرك لأن كل من اعتقد في أمر من الأمور أنه سبب و لم يكن سبباً شرعياً فإنه قد أتى نوعاً من أنواع الشرك، وعلى هذا لا يجوز التوسل بذات النبي ﷺ مثل أن يقول: أسألك بنبيك محمد ﷺ فذات النبي ﷺ ليست وسيلة ينتفع بها العبد، وكذا لا يجوز التوسل بجاه النبي ﷺ لأن جاه النبي ﷺ إنما ينتفع به النبي ﷺ نفسه ولا ينتفع به غيره.

وأما التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذات النبي ﷺ والسؤال بذاته فهذا لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم.

التبرك

تعريف التبرك:

التبرك في اللغة: مصدر تبرك يتبرك تبركاً، والمعنى: طلب البركة.

وفي الاصطلاح: استدعاء البركة واستجلابها، وتطلق البركة على نماء الشيء وزيادته.

أنواعه:

للتبرك أنواع مختلفة ومتعددة بحسب النظر للفعل أو الفاعل أو الهيئة، من هذه الأنواع ما مشروع، ومنها ما هـــو ممنوع شرعاً.

وبالنظر لمعنى البركة العام وهو التماس الخير أو طلب حصوله بفعل معين، عُلم أن هذا الفعل أمر شرعي يُرَد للشرع، فما منعه الشرع منعناه، وما أباحه ورخص فيه أو دعا له ورغب فيه التمسناه.

ومن المتقرر أن البركة من الله سبحانه، وإذا كانت كذلك فإن طلب البركة يكون منه سبحانه، أو بالطريق الذي بينه وحدده بما أرسل به رسله، أو أنزل به كتبه.

ومن ادعى طريقاً أو فعلاً بأنه بركة أو مبارك فعليه الدليل والبينة التي تثبت صواب فعله وصحته، وهذا الفارق بين السلف ومخالفيهم في هذا الباب حين سلكوا طرقاً ليست مشروعة فيه أوصلتهم للشرك بالله تعالى، وسارت بهم في أوحال ذرائعة عياذاً بالله من ذلك.

وبهذا يعلم أن التبرك قسمان:

الأول: التبرك المشروع:

وهو ما كان من الأفعال أو الطرق التي أذن الشرع بطلب بركتها، أو أثبتت الشريعة البركة في الشيء المتبرك به.

وبهذا نعلم أن طلب البركة لا بد أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم، مثل القرآن قال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك﴾.

وأن يكون بأمر حسي معلوم، مثل التعليم، والدعاء ونحوه، فهذا الرجل يتبرك بعلمه ودعوته إلى الخير، فيكون هذا بركة لأننا نلنا منه خيراً كثيراً.

ومما يندرج تحت هذا النوع المشروع ما يلي:

أولاً: التبرك بالذوات والأشخاص.

وهذا النوع لا يخرج عن حالين:

إما أن يكون التبرك بالنبي ﷺ وبسائر الأنبياء، أو يكون التبرك بصالحي البشر ممن عداهم.

أما الأول وهو التبرك بالأنبياء فالمشروع منه أمران:

١. اتباع أمره والانتهاء عن نهيه، ومتابعته ﷺ في أقواله وأفعاله، والبركة كل البركة في هذا الاتباع وتلكم المحبة المبلغة لهذا الفضل لقول الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾.

٢. التبرك بذات النبي ﷺ أو آثاره وما انفصل عنه، وهذا لا يخلو من حالين:

إما أن يكون **حال حياته، وإما أن يكون بعد وفاته** ﷺ ، وقد دلت السنة على أن رسول الله ﷺ ذاته وما انفصل من جسده من شعر أو عرق، أو لباس، وما استعمله من الأواني كل ذلك جعلت فيه البركة وما يستشفى به، وما يرجى بسببه الخير في الدنيا والآخرة.

ودليل ما سلف ما رواه عروة بن الزبير رضي الله عنه وفيه: أن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه.

ومن ذلك حديث أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأُتِيَت فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ فقال: «ما تصنعين يا أم سليم» فقالت: يا رسول الله نرجوا بركته لصبياننا قال: «أصبت».

الحال الثاني: أن يكون التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته والقول فيه لا يزيد عن سابقه، ودليله حديث أسماء رضي الله عنها لما قالت: هذه جبة رسول الله ﷺ وأخرجت جبة طيالسة كسروانية وقالت: هذه كانت عند عائشة حتى قبضت، فلما قبضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها.

إلا أننا نقول: التبرك بآثاره ﷺ بعد مماته هي مما يقع في الذهن لا الواقع والحقيقة، ذلك أننا لا نجزم يقيناً ونقطع بوجود شيء من آثاره ﷺ.

وقد أشار لذلك بعض المؤرخين فقال: (لا يخفى أن بعض هذه الآثار محتمل الصحة، غير أنا لم نر أحداً من الثقات ذكرها بإثبات أو نفي، فالله سبحانه أعلم بها، وبعضها لا يسعنا أن نكتم ما يخامر النفس فيها من الريب ويتنازعها من الشكوك).

الثاني: التبرك بصالحي البشر:

التبرك بذواتهم أو بآثارهم هو مما لم يأت به دليل، ذلك أن التبرك عبادة والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع، لا على الاختراع والابتداع، ولم يأت ما يدل على مشروعية التبرك بالصالحين سوى ما تقدم، بل إن صحابة رسول الله ﷺ وخير هذه الأمة ما كانوا ليتبركوا بأحد بعد وفاته ﷺ مع أن فيهم أبو بكر وعمر ﷺ وهم من كان يستبق على آثاره ﷺ فدل تركهم لهذا الأمر على حرمة فعله وشناعة مقارفته.

كما أن التبرك بالصالحين سبب مقتض للغلو فيهم، موصل للشرك بالله تعالى الله عن ذلك، وهذا مما جاءت الشريعة بمنعه والتحذير منه، ومن القواعد المرعية المقررة في الشريعة سد الأبواب المفضية للمفاسد، والمنع منها.

ثانياً: التبرك بالأقوال والأفعال والهيئات:

فمن الأقوال والأفعال، أو الهيئات ما هو مبارك إذا جيء به طلباً والتماساً للخير والبركة، وحال الطالب للبركة اتباع سنة النبي ﷺ وقوله وفعله، ولا مانع من حصول المطلوب والملتمس، فإن ذلك محصل لمطلوبه، إذا وافق المشروع في نيته وقصده، وحذر الممنوع وابتعد عنه.

ومما جاء به النص للدلالة على بركته من الأقوال ذكر الله تعالى وقراءة القرآن كما في حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة ».

ومن بركات القرآن أنه شفاء للناس وهدى ورحمة.

ومن الأفعال حضور مجالس الذكر، وتعلم العلم وتعليمه، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ: أن الملائكة يتبعون مجالس الذكر ويحفونهم بأجنحتهم فتحصل لهم البركة بفعلهم وتتعدى لجليسهم فيشمل بها.

وأما الهيئات المطروحة فيها البركة فمن أمثلتها الاجتماع على الطعام، والأكل من جوانب القصعة، ولعق الأصابع، ودليله قول رسول الله ﷺ: «.. فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ».

وعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: « إذا أكل أحدكم طعاماً فلا يأكل من أعلى الصحفة ولكن ليأكل من أسفلها فإن البركة تنزل من أعلاها ».

وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إذا أكل أحدكم فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أيتهن البركة ».

ثالثاً: التبرك بالبقاع والأمكنة:

ولا تختص بقعة بمزيد بركة إلا ما اختصه الله تعالى بذلك وعينه، ومن التمس بركة بقعة وضع الله فيها البركة نالها إن هو حقق الإخلاص لله تعالى وتابع رسوله ﷺ.

وليست تلك البقع على نحو واحد من جهة بركتها، فبعضها أفضل من بعض.

ومما جاء النص مثبتاً بركته من البقاع ما اختص به البلد الحرام مكة المكرمة لقول الله تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾.

وقد دعا رسول الله ﷺ للمدينة بالبركة كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به إلى النبي ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: « اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه » قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر.

وقد أخبر الله تعالى عن بركة المسجد الأقصى وما حوله في قوله: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله..﴾.

وأرض الشام مباركة لقوله تعالى عن إبراهيم ﷺ: ﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾.

ومن طلب أو التمس البركة المذكورة لهذه البقاع نالها بإذن ربه تعالى، إن هو اتبع ولم يبتدع في عمله، فمن سكن في مكة أو المدينة أو الشام طلباً لما ينزله الله من بركة عليهن في زيادة أرزاقهن أو دفع الشرور والفتن عنهن فهذا ما جاء الشرع بعدم المنع منه، وإن تعدى الأمر لخلاف ذلك فصار التماس البركة مقصوداً به التمسح بتراب أو جدران المساجد المذكورة، أو أحجارها أو أشجارها فهذا هو المنهي عنه، لأن التبرك لا يكون بهذا؛ إذ لم يأت به دليل لا من كتاب ولا سنة، بل الدليل على خلافه، لأن هذا الفعل يفضي للشرك بالله.

رابعاً: التبرك بالأوقات والأزمنة:

فالأزمنة التي اختصها الله بمزيد فضل عن غيرها ينال الإنسان بغيته من بركتها إن هو التمس ذلك بوفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإن رجاها أو التمسها بخلاف ذلك فقد ابتدع في الدين، وأحدث ما لم يأمر به الله تعالى.

وهذه الأزمنة منها ما يتعاقب على المرء كل يوم ومنها ما يكون كل أسبوع ومنها ما يأتي كل شهر وآخر كل سنة، فثلث الليل الآخر مبارك لنزول ربنا فيه كل ليلة، ويوم الجمعة خير يوم طلعت عليه الشمس، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه.

ويتعاقب كل سنة شهر مبارك كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم فيه صيامه، تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم ».

وفيه ليلة القدر وبركتها جاءت في قول الله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين﴾.

فهذه الأوقات والأزمان إنما ترجى بركتها لمن وفق للتماسها على ما جاء به الكتاب والسنة، لا الهوى والابتداع، إذ المشروع في مثل هذه الأوقات القيام بالعبادة في تلكم الأزمنة بالطريقة المشروعة، ومن التمسها ببدع من القول أو الفعل فلا يوفق لتلك البركة ولا ينالها.

خامساً: التبرك بالأطعمة ونحوها:

فالمطعوم جاء الدليل على إثبات بركة بعضه، ومما جاء منصوصاً عليه بذلك مما يطعم زيت الزيتون في قول الله تبارك وتعالى: ﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾.

وجاء النص على بركة ماء زمزم من حديث أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنها مباركة ».

وجاء في اللبن عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أتي باللبن قال: « كم في البيت بركة أو بركتين ».

فهذه أمثلة على بركة بعض المطعومات والتي اختصها الله بذلك من سائر المباحات، والتبرك بها يكون بأكلها أو شربها أو الادهان بها، وكذا الاستشفاء، ويكون بما لا يخالف ما جاء في كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ

فالتبرك مثلاً بماء زمزم لا يعدوا شربه والتضلع منه، والاستشفاء به أو التماس الخير وطلبه حال الشرب، للحديث «زمزم لما شرب له» ، وعند البيهقي: «وكان يصب على المرضى ويسقيهم» فيلحق به التمسح بالماء كما كان يفعله الإمام أحمد رحمه الله، فقد روى عبدالله أنه رأى أباه رحمه الله غير مرة يشرب من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه.

وكذا نقله لخارج مكة المكرمة زادها الله شرفاً، ودليله ما روته عائشة رضي الله عنها أنها كانت تحمل ماء زمزم، وتخبر أن رسول الله ﷺ كان يحمله، وقد نص على جواز حمله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وغيره.

قال الألباني: « وله أن يحمل معه ماء زمزم ما تيسر له تبركاً به ».

الثاني: التبرك الممنوع:

الممنوع من التبرك لايخرج عن حالين:

الأول: أن يكون بأمر منهي عنه، أو بأمر لم يأذن به الله تعالى، أو بأمر أذن بالتبرك بأصله فألحق المبتدعة به ما ليس منه، كالتبرك بالأحجار أو الأشجار ونحوها، أو التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته أو بقبره ونحوه.

الثاني: أن يكون بأمر لم يأت فيه دليل بذاته، و لم تثبت فيه البركة.

وجماع أمر التبرك الممنوع أن يقال: إن كل تبرك ثبت فيه هذان الشرطان فهو تبرك لم يؤذن به شرعاً، وهو أنواع:

أولها: التبرك بالبقع والأماكن والجمادات:

التبرك بالبقاع إنما يكون بما شرعه الله تعالى منها، لا بتقبيل أرضها، أو التمسح بعتباتها، والاستشفاء بأتربتها.

والتبرك بالأماكن أو البقاع التي لم يأت دليل على تخصيصها ببركة معينة تثبت لهذا الفعل بعينه فهي بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وهي باب وطريق للشرك الصريح بالله تعالى.

والدليل على إبطال مثل هذا التبرك حديث عمر بن الخطاب ﷺ حين قبل الحجر الأسود ثم قال: « إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك ».

وعن المعرور بن سويد قال خرجنا مع عمر ﷺ في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ و ﴿لإيلاف قريش﴾ فلما قضى حجة ورجع والناس يبتدرون، فقال ما هذا ؟ فقالوا: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ ، فقال: هكذا هلك أهل الكتاب، اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل، ومن لم تعرض له منكم فيه الصلاة فلا يصل.

ومما يتبرك به المبتدعة من الأماكن قبر النبي ﷺ ومظهر الضلال في فعلهم حين يطلبون من رسول الله ﷺ الدعاء أو الشفاعة عند القبر، أو حال آدائهم لبعض العبادات عنده كالدعاء والصلاة لمزيد بركة في هذه البقعة وفضل، أو بالتمسح بالقبر وتقبيله.

وهذا كله خروج عن التبرك المشروع وإحداث في دين الله تعالى، فطلب الدعاء ومثله الشفاعة من النبي ﷺ عند القبر شرك بالله تعالى؛ لأنه استعانة واستغاثة بغير الله فيما هو من خصائص الله تعالى.

وأما قصد القبر للدعاء أو لأداء نسك وعبادة معينة فهو من المنكرات المبتدعة باتفاق أئمة المسلمين، و لم يفعله أحد من صحابة رسول الله ﷺ وما وقفوا عند قبره يدعون لأنفسهم.

ويلحق بما تقدم الجلوس عند القبر وتلاوة القرآن، أو ذكر الله تعالى.

وأما تقبيل القبر أو حيطانه والتمسح بها فهو مما نهي عنه باتفاق أهل العلم.

ومن الأدلة الناهية عما سبق ذكره ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم ».

فالنهي عن تحري العبادة عند القبور وكذا خص بقعة بعينها لعبادة معينة لطلب البركة ونحوه هو مما نهي عنها بهذا الحديث، فقصد قبر وغيره لأداء عبادة ونحوها طلباً للبركة والتماساً لها هو من اتخاذها عيداً، وهو ما جاء إبطاله بالرواية السابقة والله أعلم.

ومما يوضح النهي عن هذا النوع من التبرك كون صحابة رسول الله ﷺ ومن جاء بعدهم من التابعين وتـــابعيهم لم يفعلوا ذلك بقبره ﷺ أو أمروا بهذا الفعل، بل كانوا ينهون عنه أشد النهي.

وقد يشتد بهم الكرب ويعظم الخطب ومع هذا كله ما كانوا ليأتوا لقبر النبي ﷺ ملتمسين أو طالبين البركة الـــتي تعينهم على صروف الدهر ونوائب الأيام.

وما أثر عن أحد من صحابة رسول الله ﷺ تبرك بحيطان قبره، أو حجرته لما كانت منفصلة عن المسجد كما نص عليه شيخ الإسلام رحمه الله.

ثانيها: التبرك بالأزمنة والأوقات:

والتبرك بها لا يخرج عن حالين:

الأول: أن يخص وقت مبارك كيوم الجمعة أو ليلة القدر ونحوها بعمل غير مشروع كإفراد الجمعة بالصيام التماساً لبركة ذلك اليوم مثلاً.

الثاني: أن يخص يوم بمزيد بركة أو تلتمس فيه البركة وهو مما لا يثبت ذلك فيه، ولا مخصص له أو مميز له عن غيره من الأيام، كإحياء يوم مولد النبي ﷺ بالعبادة وغيرها طلباً لبركة ذلك اليوم.

والتبرك بالأزمنة والأوقات عبادة من العبادات، والعبادات مبناها على التوقيف، فما جاء به النص من الأزمنة على خصوصه ببركة وإلا فهو التبرك الممنوع، وعليه فأي زمن يعظم وتلتمس فيه البركة ويخص بنوع مـــن العبـــادات أو الاحتفالات بلا دليل كيوم مولد النبي ﷺ أو يوم الإسراء والمعراج، ويوم هجرة النبي ﷺ ونحوها فهو من هذا النوع.

وأما **الحال الأول** وهو: تخصيص وقت خص ببركة معينة بعمل لم يشرعه الله ولا رسوله فهذا من البدع المحدثـــة المخالفة لهدي المصطفى ﷺ لقوله ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد).

وفي حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا خطب: «.. فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة ».

ولا ينبغي تخصيص العبادات بأوقات لم يخصصها بها الشرع، بل تكون جميع أفعال البر مرسلة في جميع الأزمـــان، ليس لبعضها على بعض فضل إلا ما فضله الشرع وخصه بنوع من العبادة، فإن كان ذلك اختص بتلك الفضيلة تلك العبادة دون غيرها كصوم يوم عرفة وعاشوراء والصلاة في جوف الليل والعمرة في رمضان.

ومن الأزمان ما جعله الشرع مفضلاً فيه جميع أعمال البر كعشر ذي الحجة وليلة القدر التي هي خير مـــن ألـــف شهر، أي العمل فيها أفضل من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، فمثل ذلك يكون أي عمل من أعمال الـــبر حصل فيها كان له الفضل على نظيره في زمن آخر.

فالحاصل أن المكلف ليس له منصب التخصيص، بل ذلك إلى الشارع وهذه كانت صفة عبادة رسول الله ﷺ.

وأما **الحال الثاني** فأظهر أنواعه الاحتفال بالمولد النبوي، وهذه البدعة ما ظهرت إلا زمن الفـــاطميين، وأول مـــن أظهره منهم هو المعز لدين الله سنة ٣٦٢هـــ.

فليس له أصل مشروع لا من كتاب ولا سنة، بل هو محدث ومبتدع بعد القرون الثلاثة المفضلة، لم يقل به ولم يأمر بإقامته ولا فعله أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولا التابعين ولا تابعيهم مع قيام المقتضي له وعدم المانع فيه لو كان خيراً، ولو كان خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف ﷺ أحق به منا لشدة محبتهم لرسول الله ﷺ وتعظيمهم له.

ولو كانت إقامة الموالد أو الاحتفال بها مما يثاب عليه المرء لكان النبي ﷺ وهو أبر الأمة وأنصحها قد أخبر أمته بشرعية الفعل وعين لهم ليلة مولده لئلا تختلف الأمة في ذلك، فالمبتدعة ممن عنوا بإحياء هذه الليلة لم يتفقوا على ليلة بعينها هي يوم مولده فذهب بعضهم إلى أنها في يوم الثاني عشر، وقيل: بل الثامن من شهر ربيع الأول.

وخلاصة الأمر أن ما ثبت بركته من الأزمنة فلا يتعدى في المشروع من الأفعال والأقوال كما سبق وسلف، وما لا يثبت له بركة فحكمه حكم غيره من الأزمنة، إذ لا مزية له ولا مزيد فضل عن غيره، وتمييزه وتفضيله بلا دليل هو مما يبتدعه المبتدعة وأهل الأهواء.

ثالثها: التبرك بآثار الصالحين وذواتهم:

كالتمسح بهم وتقبيلهم، أو التبرك بفضل مائهم ووضوئهم، أو بما انفصل منهم.

ولا يقاس غير النبي على النبي في جواز التبرك بالصاليحن؛ لأن النبي اختصه الله تعالى بخصائص لايوافقه فيها غيره، ومن تلكم الخصائص التبرك به ﷺ أو بآثاره على الوجه المشروع، وهذا سبب شرعي جاء الشرع ببيانه، خلافاً للتبرك بالصالحين والذي أنكرته الأدلة الشرعية، فالصحابة ﷺ تعرض لهم المصائب، وتحل بهم النكبات، ومه هذا كله لم يأت أحد منهم لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ طلباً والتماساً للبركة منهم في دفع المكروه وجلب المحبوب.

ولم يأت عن رسول الله ﷺ أمر بالتبرك بالصحابة أو الإذن فيه، علاوة على أننا لا نجد النقل الصحيح بحصول هذا التبرك فيما بين الصحابة أنفسهم ﷺ وفيهم الخلفاء الراشدون، والعشرة المبشرون.

ثم إن التبرك بالصالحين سبب مقتض للغلو فيهم، موصل للشرك بالله تعالى الله عن ذلك، وهذا مما جاءت الشريعة بمنعه والتحذير منه، ومن القواعد المرعية المقررة في الشريعة سد الأبواب المفضية للمفاسد، والمنع منها.

فغير النبي ﷺ لا يقاس عليه لعلل ثلاث:

الأولى: أن الصحابة ﷺ ما فعلوا هذا الفعل مع غيره ﷺ.

الثانية: سد ذريعة الشرك.

الثالثة: لأن ذات النبي ﷺ وآثاره ثبت بالنص بركتها، خلافاً لغيره.

الشرك

تعريفه:

يطلق الشرك في اللغة على: التسوية بين الشيئين.

وله في الشرع معنيان: عام وخاص.

المعنى العام: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه سبحانه ، ويندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: **الشرك في الربوبية** ، وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الربوبية ، أو نسبة شيء منها إلى غيره ، كالخلق والرزق والإيجاد والإماتة والتدبير لهذا الكون ونحو ذلك.

قال تعالى: (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون).

الثاني: **الشرك في الأسماء والصفات** ، وهو تسوية غير الله بالله في شيء منها ، والله تعالى يقول: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

الثالث: **الشرك في الألوهية** ، وهو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الألوهية ، كالصلاة والصيام والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحو ذلك.

قال الله تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله).

المعنى الخاص: وهو أن يتخذ لله ندا يدعوه كما يدعو الله ويسأله الشفاعة كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله ، ويحبه كما يحب الله ، وهذا هو المعنى المتبادر من كلمة " الشرك " إذا أطلقت في القرآن أو السنة.

الأدلة على ذم الشرك وبيان خطره:

لقد تنوعت دلالة النصوص على ذم الشرك والتحذير منه وبيان خطره وسوء عاقبته على المشركين في الدنيا والآخرة.

١ – فقد أخبر الله سبحانه أنه الذنب الذي لا يغفره إلا بالتوبة منه قبل الموت ، فقال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).

٢ – ووصفه بأنه أظلم الظلم ، فقال تعالى: (إن الشرك لظلم عظيم).

٣ – وأخبر أنه محبط للأعمال ، فقال تعالى: (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين).

٤ – ووصفه بأن فيه تنقصا لرب العالمين ومساواة لغيره به ، فقال تعالى: (قالوا وهم فيها يختصمون)(تالله إن كنا لفي ضلال مبين)(إذ نسويكم برب العالمين).

٥ – وأخبر أن من مات عليه يكون مخلدا في نار جهنم ، فقال تعالى: (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار).

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة ، وهي كثيرة جدا في القرآن الكريم.

أنواع الشرك:

ينقسم الشرك إلى قسمين: أكبر وأصغر.

القسم الأول: **الشرك الأكبر**: هو اتخاذ ند مع الله يعبد كما يعبد الله ، وهو ناقل من ملة الإسلام محبط للأعمال كلها ، وصاحبه إن مات عليه يكون مخلدا في نار جهنم لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها.

أنواع الشرك الأكبر: وينقسم الشرك الأكبر إلى أربعة أنواع:

١ – شرك الدعوة ، أي الدعاء ، وذلك أن الدعاء من أعظم أنواع العبادة ، بل هو لب العبادة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « الدعاء هو العبادة » ، قال الله تعالى: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين).

ولما ثبت أن الدعاء عبادة ، فصرفه لغير الله شرك ، فمن دعا نبيا أو ملكا أو وليا أو قبرا أو حجرا أو غير ذلك من المخلوقين فهو مشرك كافر ، كما قال تعالى: (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون).

ومن الأدلة على أن الدعاء عبادة وأن صرفه لغير الله شرك قوله تعالى: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) ، فأخبر عن هؤلاء المشركين بأنهم يشركون بالله في رخائهم ، ويخلصون له في كربهم وشدتهم ، فكيف بمن يشرك بالله في الرخاء والشدة عياذا بالله.

٢ – شرك النية والإرادة والقصد ، وذلك أن ينوي بأعماله الدنيا أو الرياء أو السمعة ، إرادة كلية كأهل النفاق الخلص ، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة ، فهو مشرك الشرك الأكبر ، قال الله تعالى: (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون)(أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون).

وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة.

٣ – شرك الطاعة ، فمن أطاع المخلوقين في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله ، ويعتقد ذلك بقلبه أي أنه يسوغ لهم أن يحللوا ويحرموا ويسوغ له ولغيره طاعته في ذلك مع علمه بأنه مخالف لدين الإسلام فقد اتخذهم أربابا من دون الله وأشرك بالله الشرك الأكبر.

قال الله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون).

وتفسير الآية الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية (أي في تبديل حكم الله) لا دعاؤهم إياهم ، كما فسرها النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم ؟ فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية (في تبديل حكم الله) ، فقال: « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه » ، قال: بلى. قال: « فتلك عبادتهم ».

٤ – شرك المحبة ، والمراد محبة العبودية المستلزمة للإجلال والتعظيم والذل والخضوع التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له ، ومتى صرف العبد هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر ، والدليل قوله تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله).

القسم الثاني: الشرك الأصغر:

وهو كل ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه أو ما جاء في النصوص تسميته شركا ولم يصل إلى حد الأكبر ، وهو يقع في هيئة العمل وأقوال اللسان. وحكمه تحت المشيئة كحكم مرتكب الكبيرة.

ومن أمثلته ما يلي:

- يسير الرياء ، والدليل ما رواه الإمام أحمد وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) ، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال: (الرياء ، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ».
- قول: " ما شاء الله وشئت " ، روى أبو داود في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم: « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان ».
- قول: " لولا الله وفلان " ، أو قول: " لولا البط لأتانا اللصوص " ، ونحو ذلك ، روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) قال: " الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي ، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل لأصحابه: ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل: لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلانا ، هذا كله به شرك ".

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة ، أهمها ما يلي:

١ - أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة ، وأما الأصغر فتحت المشيئة.

٢- أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال ، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

٣- أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام ، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

٤- أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليه الجنة ، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب.

الكفر

تعريفه:

الكفر لغة يطلق على الستر والتغطية.

وشرعا: ضد الإيمان ، وهو: عدم الإيمان بالله ورسوله ، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب ، بل عن شك وريب ، أو إعراض عن ذلك حسدا وكبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة.

أنواع الكفر:

الكفر نوعان: كفر أكبر ، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار ، **والأصغر** موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

أولا: الكفر الأكبر.

وهو خمسة أنواع:

١. كفر التكذيب ، وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام ، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهرا أو باطنا فقد كفر ، والدليل قوله تعالى: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين).

٢. كفر الإباء والاستكبار ، وذلك بأن يكون عالما بصدق الرسول ، وأنه جاء بالحق من عند الله ، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره ، استكبارا وعنادا ، والدليل قوله تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين).
٣. كفر الشك ، وهو التردد ، وعدم الجزم بصدق الرسل ، ويقال له كفر الظن ، وهو ضد الجزم واليقين. والدليل قوله تعالى: (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا)(وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا)(قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا)(لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا).
٤. كفر الإعراض ، والمراد الإعراض الكلي عن الدين ، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، والدليل قوله تعالى: (والذين كفروا عما أنذروا معرضون).
٥. كفر النفاق ، بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر ، والدليل قوله تعالى: (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون).

ثانيا: الكفر الأصغر

وهو لا يخرج صاحبه من الملة ولا يوجب الخلود في النار وإنما عليه الوعيد الشديد ، وهو كفر النعمة ، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلى حد الكفر الأكبر. ومن الأمثلة عليه:
ما ورد في قوله تعالى: (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله)(لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون).
وفي قوله صلى الله عليه وسلم: « اثنتان في الناس هما بهم كفر ، الطعن في النسب والنياحة على الميت » ، رواه مسلم.
وفي قوله صلى الله عليه وسلم: « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » ، رواه البخاري ومسلم.
فهذا وأمثاله كفر دون كفر وهو لا يخرج من الملة الإسلامية.
لقوله تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) ، فسماهم الله عز وجل مؤمنين مع الاقتتال.
ولقوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) ، فدلت الآية الكريمة على أن كل ذنب دون الشرك تحت المشيئة أي إن شاء الله عذبه بقدر ذنبه وإن شاء عفا عنه من أول وهلة ، إلا الشرك به فإن الله لا يغفره كما هو صريح في الآية وقوله تعالى: (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار).

النفاق

تعريفه:

في اللغة: مأخوذ من النفق، وهو السرب في الأرض الذي يستتر فيه؛ سمي النفاق بذلك؛ لأن المنافق يستر كفره ويغيبه.

وقيل إنه مأخوذ من نافقاء اليربوع، وهو باب جحره؛ لأنه في ظاهره أرض مستوية وباطنه حفرة قد أعدها اليربوع للتخلص من الخطر وقت الحاجة؛ فاستطاع بهذا الفعل أن يخدع الصياد؛ فكذلك المنافق يظهر خلاف ما يبطن.

النفاق في الاصطلاح: هو إظهار الإسلام والخير، وإبطال الكفر والشر.

وهو مخالفة الباطن للظاهر، وإظهار القول باللسان، أو الفعل؛ بخلاف ما في القلب من الاعتقاد.

أي: هو إظهار متابعة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مع إبائه وجحده بالقلب، فهو مظهر للإيمان ومبطن للكفر.

قال الله – تبارك وتعالى – عن المنافقين في كتابه العزيز: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)

وقال تعالى: (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون. صم بكم عمي فهم لا يرجعون. أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين. يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير).

وقال تعالى: (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤوا إن الله مخرج ما تحذرون. ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طآئفة منكم نعذب طآئفة بأنهم كانوا مجرمين)

ولهذا جعل الله – تبارك وتعالى – المنافقين شرا من الكافرين.

قال تعالى: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا).

قال تعالى: (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا)

النفاق في الشرع نوعان:

أولا: النفاق الأكبر؛ المخرج من الملة، والموجب للخلود في الدرك الأسفل من النار:

وهو إبطان الكفر في القلب، وإظهار الإيمان على اللسان والجوارح، ويترتب على هذا النوع ما يترتب على الكفر الأكبر؛ من حيث انتفاء الإيمان عن صاحبه، وخلوده في جهنم؛ لكن المنافق أشد عذابا من الكافر؛ لأنه في الدرك الأسفل من النار – إذا مات عليه.

والمنافق: إذا لم يظهر ما في باطنه من مخالفة الدين، وأظهر الأعمال الظاهرة من الإسلام؛ فهو في الظاهر مسلم، وتجري عليه أحكام الإسلام الظاهرة في الدنيا، ويعامل معاملة المسلمين؛ لأننا لم نؤمر بالشق عن ما في القلوب، وهذا في الأصل خارج عن نطاق وقدرة ابن آدم.

لأن الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان الباطن الذي يكون صاحبه من المؤمنين حقا.

والنفاق: إذا أطلق ذكره في القرآن؛ فإن المراد به النفاق الأكبر المنافي للإيمان؛ بخلاف الكفر فإنه يأتي – أحيانا – بمعنى الكفر الأصغر، وكذلك الظلم والفسق والشرك، أما في السنة فقد ورد النفاق الأصغر.

والمنافقون شر وأسوأ أنواع الكفار؛ لأنهم زادوا على كفرهم الكذب والمراوغة والخداع للمؤمنين، ولذلك أخبرنا الله تعالى عن صفاتهم في القرآن بالتفصيل، ووصفهم بصفات الشر كلها؛ لكي لا يقع المؤمنون في حبائلهم وخداعهم، ومن صفاتهم:

١. الكفر وعدم الإيمان.
٢. التولي والإعراض عن حكم الله تعالى وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم.
٣. الاستهزاء بالدين وأهله والسخرية منهم.
٤. الميل بالكلية إلى أعداء الدين، ومظاهرتهم ومناصرتهم على المؤمنين والمسلمين.

ومن أنواع النفاق الكثيرة: من أظهر الإسلام وهو مكذب بما جاء به الله، أو بعض ما جاء به الله، أو كذب الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو بعض ما جاء به الرسول، وكمثل من لم يعتقد وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم ، أو أبغض الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو آذى الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو كره الانتصار لدين الرسول صلى الله عليه وسلم أو سر بكسر راية الدين، أو الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين؛ لأجل إيمانهم وطاعتهم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، أو التولي والإعراض عن الشرع.. إلى غير ذلك من الاعتقادات الكفرية المخرجة من الملة.

ثانيا: النفاق الأصغر؛ غير المخرج من الملة:

هو النفاق العملي، واختلاف السر والعلانية في الواجبات، وذلك بعمل شيء من أعمال المنافقين؛ مع بقاء أصل الإيمان في القلب وصاحبه لا يخرج من الملة، ولا ينفى عنه مطلق الإيمان، ولا مسمى الإسلام، وهو معرض للعذاب كسائر المعاصي، دون الخلود في النار، وصاحبه ممن تناله شفاعة الشافعين بإذن الله.

وهذا النوع من النفاق مقدمة وطريق للنفاق الأكبر؛ لمن سلكه وكان ديدنه.

وأمثلة ذلك: الكذب في الحديث، وإخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، والفجور في الخصومة، والغدر بالعهود، وكالرياء الذي لا يكون في أصل العمل، وإظهار المودة للغير والقيام له بالخدمة مع إضمار عكسه في النفس.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من مات و لم يغز، و لم يحدث به نفسه؛ مات على شعبة من نفاق).

البدعة

تعريف البدعة:

البدعة لغة: هي الاختراع على غير مثال سابق ومن ذلك قول الله تعالى: (بديع السماوات والأرض) أي مخترعهما.

وشرعا: البدعة في الدين هي: ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب.

فهي: ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا.

والابتداع قسمان:

الأول: ابتداع في العادات؛ كابتداع المخترعات الحديثة، وهذا مباح؛ لأن الأصل في العادات الإباحة.

الثاني: ابتداع في الدين، وهذا محرم؛ لأن الأصل فيه التوقيف؛ قال صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد) ، وفي رواية: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا، فهو رد)

أنواع البدع

البدعة في الدين قسمان:

القسم الأول: **بدعة قولية اعتقادية**؛ كمقالات المعتزلة والرافضة وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

القسم الثاني: **بدعة في العبادات**؛ كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وهي أنواع:

النوع الأول: ما يكون في أصل العبادة؛ بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع، مثل أن يحدث صلاة غير مشروعة أو صياما غير مشروع أو أعيادا غير مشروعة كأعياد الموالد وغيرها.

النوع الثاني: ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة؛ كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلا.

النوع الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة؛ بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

النوع الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع؛ كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام؛ فإن أصل الصيام والقيام مشروع، ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

خطر البدع:

إن البدع والمحدثات في الدين لها خطورة عظيمة ، وآثار سيئة على الفرد والمجتمع بل وعلى الدين كله أصوله وفروعه، فالبدع: إحداث في الدين ، وقول على الله بغير علم وشرع في الدين بما لم يأذن به الله ، والبدعة سبب في عدم قبول العمل وتفريق الأمة ، والمبتدع يحمل وزره ووزر من تبعه في بدعته ، كما أن البدعة سبب في الحرمان من الشرب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم فعن سهل بن سعد الأنصاري ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أنا فرطكم على الحوض من مر علي شرب ، ومن شرب لا يظمأ أبدا. ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول إنهم من أمتي ، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقا لمن غير بعدي ».

والبدعة تشويه للدين ، وتغيير لمعالمه.

ومن تأمل الكتاب والسنة وجد أن البدع في الدين محرمة ومردودة على أصحابها من غير فرق بين بدعة وأخرى ، وإن كانت تتفاوت درجات التحريم بحسب نوعية البدعة.

ومن المعلوم أن النهي عن البدع قد ورد على وجه واحد في قول النبي صلى الله عليه وسلم « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ». وقوله صلى الله عليه وسلم: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ». فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة مردودة ، ومعنى ذلك أن البدع في

العبادات والاعتقادات محرمة ، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوع البدعة فمنها ما هو كفر صراح كالطواف بالقبور تقربا إلى أصحابها ، وتقديم الذبائح والنذور لها ، ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم ، ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء على القبور ، والصلاة والدعاء عندها ، ومنها ما هو فسق ومعصية كإقامة الأعياد التي لم ترد في الشرع ، والأذكار المبتدعة والتبتل والصيام قائما في الشمس.

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

معناه: الإيمان بما وصف الله به نفسَه في كتابه، أو وصفه به رسوله من الأسماء الحسنى والصفات العلى والعلم بمعانيها على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل.

- **مذهب السلف فيه نفياً وإثباتاً:**

مذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات هو: الإيمان بما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته لفظا ومعنى، واعتقاد أن هذه الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز، وأن لها معاني حقيقية تليق بجلال الله وعظمته، وأدلة ذلك أكثر من أن تحصى، ومعاني هذه الأسماء ظاهرة معروفة من القرآن كغيرها لا لبس فيها ولا إشكال ولا غموض، وقد أخذ أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عنه القرآن، ونقلوا عنه الأحاديث و لم يستشكلوا شيئا من معاني هذه الآيات والأحاديث؛ لأنها واضحة صريحة، وكذلك من بعدهم من القرون الفاضلة كما يروى عن مالك –رحمه الله– لما سئل عن قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، أما كنه الصفة وكيفيتها فلا يعلمه إلا الله سبحانه؛ إذ الكلام في الصفة فرع عن الكلام في الموصوف، وكما لا يعلم كيف هو إلا هو فكذلك صفاته، وهو معنى قول مالك: والكيف مجهول.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أهل السنة والجماعة في الإسلام – كأهل الإسلام في الملل – فهم وسط في باب صفات الله عزّ وجل بين أهل الجحد والتعطيل، وبين أهل التشبيه والتمثيل؛ يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل، إثباتاً لصفات الكمال، وتتريهاً له عن أن يكون له فيها أنداد وأمثال، إثبات بلا تمثيل، وتتريه بلا تعطيل، كما قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) رد على الممثلة ، (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) رد على المعطلة.

وطريقة أهل السنة والجماعة ومنهجهم هو المنهج والطريق الواجب في أسماء الله وصفاته، وهو الأسلم والأعلم والأحكم، وليس هناك طريقة أخرى صحيحة في هذا الباب إلا طريقتهم في إثباتها وإمرارها كما جاءت، وقد دل على ذلك أدلة كثيرة منها:

قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وقوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ).

وقوله: (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ).

فالآية الأولى: دلت على وجوب الإثبات من غير تحريف، ولا تعطيل؛ لأنهما من الإلحاد في أسمائه عز وجل.

والآية الثانية: دلت على وجوب نفي التمثيل.

والآية الثالثة دلت على وجوب نفي الكيفية، وعلى وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته ولا نفيه.

ما يقدح فيه: يقدح في هذا النوع من التوحيد الأمور التالية:

١. التحريف: هو التغيير وإمالة الشيء عن وجهه، وهو قسمان:

تحريف لفظي، وذلك بالزيادة في الكلمة أو النقص أو تغيير حركة في الكلمة كتحريف كلمة استوى في قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) إلى استولى.

تحريف معنوي، وذلك بتفسير اللفظ على غير مراد الله ورسوله منه كمن فسر " اليد " لله تعالى بالقوة أو النعمة. فإن هذا تفسير باطل لا يدل عليه الشرع ولا اللغة

٢. التعطيل: هو نفي صفات الله تعالى كمن زعم أن الله تعالى لا يتصف بصفة.

والفرق بين التحريف والتعطيل هو: أن التحريف: نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص واستبداله بمعنى آخر غير صحيح، أما التعطيل فهو: نفي المعنى الصحيح من غير استبدال له بمعنى آخر.

٣. التكييف: تعيين كيفية الصفة والهيئة التي تكون عليها كفعل بعض المنحرفين في هذا الباب الذين يكيفون صفات الله فيقولون كيفية يده: كذا وكذا ، وكيفية استوائه على هيئة كذا وكذا. فإن هذا باطل إذ لا يعلم كيفية صفات الله إلا هو وحده وأما المخلوقون فإنهم يجهلون ذلك ويعجزون عن إدراكه.

٤. التمثيل: هو التشبيه كمن يقول لله سمع كسمعنا ووجه كوجوهنا تعالى الله عن ذلك.

قواعد في أدلة الأسماء والصفات:

- القاعدة الأولى: الأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته، هي: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا تثبت أسماء الله، وصفاته، بغيرهما.

وعلى هذا فما ورد إثباته لله تعالى من ذلك في الكتاب أو السنة وجب إثباته.

وما ورد نفيه فيهما وجب نفيه، مع إثبات كمال ضدّه.

وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه فلا يثبت ولا ينفى لعدم ورود الإثبات والنفي فيه.

وأما معناه فيفصل فيه: فإن أُريد به حق يليق بالله تعالى فهو مقبول. وإن أريد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده.

فمثال ما ورد إثباته لله تعالى: الاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين عباده يوم القيامة، والوجه، والعينان، واليدان ونحوها، ومنه الكلام، والمشيئة، والإرادة، والرِّضا، والمحبة، والغضب، والكراهة.

ومثال ماورد نفيه عن الله سبحانه لانتفائه وثبوت كمال ضده: الموت، والنوم، والسِّنة، والعجز، والإعياء، والظلم، والغفلة عن أعمال العباد، وأن يكون له مثيل أو كفؤ ونحو ذلك.

ومثال ما لم يرد إثباته ولا نفيه لفظ (الجهة) فهو لم يرد في الكتاب والسُنة لا إثباتاً ولا نفياً، فيستفصل في معناه فإما أن يراد به جهة سفل ، أو جهة علو تحيط بالله ، أو جهة علو لا تحيط به.

والأول باطل، لمنافاته لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب، والسنة، والعقل والفطرة، والإجماع.

والثاني باطل أيضاً: لأن الله تعالى أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته.

والثالث حق، لأن الله تعالى العليّ فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

ودليل هذه القاعدة قول الله تعالى: (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً).

- القاعدة الثانية: الواجب في نصوص الصفات إجراؤها على ظاهرها دون تحريف حيث لا مجال للرأي فيها.

ودليل هذه القاعدة قوله تعالى: (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) فهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي.

وقد ذم الله تعالى اليهود على تحريفهم فقال: (أَفَتطمعُون أن يُؤمنُوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ثم يُحَرِّفُونَه من بعدما عَقَلوه وهم يعلمون).

والناس منقسمون في هذا إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من جعلوا الظاهر المتبادر منها معنى حقاً يليق بالله – عز وجل – وأبقوا دلالتها على ذلك، وهؤلاء هم السلف الذين اجتمعوا على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، والذين لا يصدق لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم.

يقول ابن عبد البر: (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن الكريم والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز)

القسم الثاني: من جعلوا للظاهر المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله وهو: التشبيه وأبقوا دلالتها على ذلك، وهؤلاء هم المشبهة ومذهبهم باطل محرم لقول الله تعالى: (ليس كمثله شيء).

القسم الثالث: من جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله وهو التشبيه، ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلت عليه من المعنى اللائق بالله، وهم أهل التعطيل سواء كان تعطيلهم عامّاً في الأسماء والصفات، أم خاصّاً فيهما، أو في أحدهما، فهؤلاء صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معانٍ عينوها بعقولهم، واضطربوا في تعيينها اضطراباً كثيراً، وسموا ذلك تأويلاً.

ومن هؤلاء من طرد قاعدته في جميع الصفات كالمعتزلة، ومنهم من تعدى إلى الأسماء أيضاً كالجهمية ، ومنهم من أثبت بعض الصفات دون بعض كالأشعرية والماتريدية.

- القاعدة الثالثة: ظواهر نصوص الصّفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر فباعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

  والدليل قوله تعالى: (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)

  ومن المحال أن يترل الله تعالى كتاباً ويبقى مجهول المعنى.

وهذه القاعدة تبطل مذهب المفوضة الذين يُفَوِّضُون علم معاني نصوص الصّفات، والسلف يثبتون المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحياناً وتفصيلاً أحياناً ويفوضون الكيفية إلى علم الله.

- القاعدة الرابعة: أسماء الله كلها حسنى:

وقد وصف الله أسماءه بالحسنى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) أي بالغة في الحسن غايته لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالا ولا تقديرا

مثال ذلك: " الحي " اسم من أسماء الله تعالى متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها ٠

ولهذا يقال: الألفاظ تنقسم إلى أربعة أقسام وهي:

١. إما أن تدل على معنى ناقص لا كمال فيه كالعجز والفقر والعمى فهذا لا يجوز أن يسمى الله به فلا يسمى بالعاجز أو الفقير أو الخائن.
٢. ألفاظ تدل على النقص في حال وعلى الكمال في حال أي تحمل الوجهين في نفس المعنى مثل: المكر ، الكيد ، الاستهزاء فهذا لا يسمى الله به أيضا فلا يقال: الماكر والمخادع والمستهزىء وهذا هو المراد من قول لا احتمالا. وهذا ما كان محمودا في حال دون حال: فيوصف به في الحال التي يكون فيها محمودا ولا يسمى به على الإطلاق. فهذه أوصاف إن ذكرت في مقابل من يعامل بهذه الأوصاف صارت أوصافا محمودة ويوصف الله بها وإلا فلا
٣. ألفاظ تدل على الكمال لكن تحمل النقص بالتقدير الذهني كالمتكلم ، والمريد ، والفاعل والشائي (الذي يشاء) مثاله: المتكلم قد يتكلم بخير وقد يتكلم بشر فلا يسمى الله به لأن أسماءه لا تحمل النقص ولو بالتقدير. ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الأصفهانية ص ٥: (وأما تسميته سبحانه بأنه مريد وأنه متكلم فإن هذين الاسمين لم يردا في القرآن ولا في الأسماء الحسنى المعروفة ، ومعناهما حق ، ولكن الأسماء الحسنى المعروفة هى التي يدعى الله بها وهي التي جاءت في الكتاب والسنة وهي التي تقتضي المدح والثناء

بنفسها والعلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك هي في نفسها صفات مدح والأسماء الدالة عليها أسماء مدح وأما الكلام والإرادة فلما كان جنسه ينقسم إلى محمود كالصدق والعدل وإلى مذموم كالظلم والكذب والله تعالى لا يوصف إلا بالمحمود دون المذموم جاء ما يوصف به من الكلام والإرادة في أسماء تخص المحمود كاسمه الحكيم والرحيم والصادق والمؤمن والشهيد والرؤوف والحليم والفتاح ونحو ذلك .فلهذا لم يجيء في أسمائه الحسنى المأثورة المتكلم المريد ا.هـ باختصار. وهذا القسم ما كان حسنا من وجه دون وجه: يخبر به عنه ولا يسمى به

٤. ألفاظ دالة على غاية الكمال وليس فيها نقص أبدا لا احتمالا ولا تقديرا وهذا هو الذي يسمى الله به